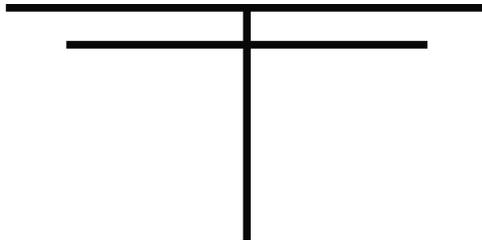


9



(الدین) سرالسرار فی أسرتة محمد علی؟



0 < > 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

أيام محمد علي

البعد الديني في تكوين أسرة محمد علي يمثل أحد أهم أغاز هذه الأسرة..
فمؤسسها (محمد علي باشا) كما استعرضنا ورأينا في الفصول السابقة كان
شديد الاهتمام بمظاهر الدين الإسلامي.. ولم يُعرف عنه استهانتته به إطلاقاً.. أو
تجاهله لرجاله.. بل بالعكس كان يحرص باعتدال على أن يظهر دائماً الصبغة
الدينية في مراسلاته التي استعرضنا بعضاً منها.

لكن ماذا حدث لأسرته من بعده؟

لماذا رأينا كثيرين منهم على النقيض من ذلك؟

فمنهم من تنصر.. ومنهم من ارتبط كثيراً بيهود..

سؤال يطرح نفسه ونحن نقرأ من بعيد صورة وملامح تلك الأسرة ذات التأثير

الشديد في بلد هي درع الإسلام الحامي.. والواقعي له دوماً عبر كل تاريخه..

وإذا بدأنا بمحمد علي نفسه فماذا سنجد؟

يقول الكاتب الصحفي (محمد القدوسي)^(١):

(بين ألقاب "الأمير رينية" أمير موناكو الراحل لقب عجيب فقد كان يحمل

لقباً معناه (حامل صليب أخوية)^(٢) محمد علي) لكننا لم نعرف لماذا يحتاج (محمد

علي) وعائلته إلي "أخوية" لها "صليب" يحمله "الأمير رينية"؟

كيف لمسلم أن تكون له (أخوية) مسيحية؟ ولماذا؟

وإذا كان "محمد علي" رأس الأسرة العلوية كانت له أخوية..

فإن آخر ملوكها وآخر أحفاد محمد علي من الحكام الفعليين وهو (الملك

فاروق) ودَع الدنيا عبر كنيسة.. ففي ٢٠ من مارس ١٩٦٥ تم نقل جثمان الملك

فاروق من دار حفظ الموتى بروما إلي كنيسة صغيرة.. قبل أن يُنقل إلي القاهرة..

(١) جريدة صوت الأمة عدد ١٤ نوفمبر ٢٠٠٩

(٢) الأخوية هي كنيسة صغيرة.. تشبه "الزاوية" عند المسلمين من حيث طبيعتها وموقعها بين دور العبادة
المسيحية.. وكنائهما الأخوية والزاوية صغيرة المساحة.. والمصلون فيها هم عادة أبناء عائلة أو مهنة واحدة..
وربما سكان قرية أو حي أو شارع واحد.

أيام محمد علي

فهل كان مكان النهاية (الكنيسة الصغيرة) مصادفة.. أم أنه كان إشارة إلى تلك العلاقة الغامضة بين الأسرة العلوية والمسيحية؟
فاروق مات مسلماً^(١).. لا شك في هذا.. بل ظل حريصاً حتى آخر يوم في حياته ألا يشرب الخمر.. يقول مؤلف^(٢) كتاب (الملف السري للملك فاروق) عن وجبة فاروق الأخيرة أنه: (أكل دسنة من المحار وجراد البحر.. وشريحتين من لحم الحمل.. مع بطاطس محمرة ويقول فرنسية.. ورفض أكل الفطائر المحلاة لأنهم كانوا قد وضعوا خموراً بها).

بعد هذه الوجبة سقط فاروق وقد احمر وجهه ويداها مرفوعتان إلى حلقه.. ولم تفلح محاولات إسعافه.. وكانت الكنيسة الصغيرة في روما هي محطته الأخيرة قبل أن يُنقل الجثمان إلى مصر.. فهل كانت مصادفة بحتة.. أم أنها إشارة إلى (علاقة ما) يشوبها الغموض بين أسرة محمد علي وبين المسيحية..

بين الإعلان.. والكتمان

إذا كان معروفاً أن عدداً من أبناء هذه الأسرة أعلن تحوله إلى المسيحية.. فالسؤال هو: هل هناك من تحول إليها دون أن يعلن عن ذلك؟
هل كانت هناك "مسيحية سرية" بين أفراد أسرة "محمد علي"؟
سؤال عجيب.. ربما.. لكن هناك ما يستدعي طرحه لا لنصل إلى إجابة ولو وجدناها لكان حدثاً رائعاً وفريداً بل لتحرر من عبء الهواجس والوساوس التي تكمن بين عبارات المؤرخين.. وربما يجدر بنا أن نطرح السؤال..
من حقائق التاريخ التي تفتح باب الوسواس أن (فتحية) شقيقة الملك (فاروق) تزوجت (رياض غالي) وهو مسيحي مصري في ٢٥ إبريل ١٩٥٠ مستهينة بلقبها الملكي الذي جردها شقيقها الملك منه.. فلم تعد أميرة وصادر ثروتها أيضاً.

(١) الكلام هنا ولآخر الفصل ما زال للكاتب محمد القدوسي.. ولكننا نقله عنه بتصريف.

(٢) المؤلف يُدعى (هيوج ماكليف).

أيام محمد علي

الستين من عمره.. وما لبث العجوز أن مات.. لتتضم "فايزة" إلى أمها "نازلي" وشقيقتهما "فتحية" وتقيم معهما غربي لوس أنجلوس.. حيث ماتت ودُفنت بعد صراع مع مرض "السرطان".

وكما قلنا من قبل فإن (أحمد فؤاد الثاني) ابن فاروق.. الذي يعيش في باريس منذ سفره إليها بعد إلغاء الملكية.. تزوج من اليهودية (دومينيك فرانس بيكار) التي غيرت اسمها بعد زواجها منه إلى "فضيلة".. جريا علي عادة جده وأبيه "فؤاد وفاروق" اللذين سميا البنات والزوجات بأسماء تبدأ بحرف الفاء.. وقد غير "فاروق" اسم زوجته الأولى "صافيناز ذو الفقار" لتصبح (الملكة فريدة).. لكنه تركها ليتزوج من (ناريان) زوجته الثانية التي تزوجها في ٥ مايو ١٩٥١.

سر الزواج الغامض

ودومينيك شخصية شديدة الغموض.. وسر زواجها من (أحمد فؤاد) هو الأكثر إثارة وغموضاً في حياتها.. خاصة أنها انفصلت عنه.. أو تخلت عنه وعن أبنائها الثلاثة بدون سابق إنذار أو سبب واضح.. وتردد بقوة أنها عادت إلى ديانتها "اليهودية".. وعلى كل حال فاليهود لا يعتدون كثيراً بما "يظهره" أبناء دينهم من اعتناق لأديان أخرى.. ويتعاملون معهم باعتبارهم يهوداً باستمرار.. وقد أنجبت "دومينيك" عندما كانت فضيلة من أحمد فؤاد ثلاثة أبناء كما ذكرنا من قبل.. فهل ستسعي إسرائيل كما سعت من قبل مع أبناء مشاهير مصريين تحولوا عن اليهودية إلى ضم الثلاثة إليها ومنحهم جنسيتها؟

وفي منتصف السبعينيات تردد بقوة عن أن الرئيس "السادات" يمكن أن يعيد الملكية إلى مصر.. علي غرار ما فعله (الجنرال فرانك) الذي أعاد الملكية إلى أسبانيا.. في تلك الحقبة منتصف السبعينيات وجاء بالملك (خوان كارلوس)^(١)

(١) خوان الأول ملك إسبانيا اعتباراً من تاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٧٥.. وُلِدَ في (٥ يناير سنة ١٩٣٨) بروما أثناء إقامة عائلته الملكية هناك بعد أن غادرت إسبانيا عند إعلان الجمهورية بها عام ١٩٣١ وهو ينحدر نسبه من أسرة بوربون الملكية... زار إسبانيا للمرة الأولى وهو في عامه العاشر.. وفي عام ١٩٥٥ بدأ دراسته الأكاديمية في الكلية العسكرية ليتأهل كطيار عسكري في عام ١٩٦٠. وفي عام ١٩٦١ التحق في جامعة

أيام محمد علي

هل كانت "دومينيك" تحاول أن "تضع قدمها في حذاء" الممثلة (ليليان كوهين)^(١) المعروفة باسم كاميليا.. وتنجح فيما فشلت فيه نجمة الإغراء اليهودية التي فتنت الملك فاروق؟

بدأت علاقة فاروق بكاميليا في ١٩٤٦ وكان عمرها ١٦ سنة.. وهكذا سارت الأمور: قابلها وهي بصحبة منتج سينمائي في (أوبرج الأهرام).. فأعجبهت.. فدعاها إلى قصر عابدين.. وفي القصر غنت له أغاني يهودية.. ورقصت.. وبكت.. وضحكت.. وتظاهرت بأنه يعلمها حيل الحب بينما كانت في الواقع تقود خطاه المتلعمثة.

ومن الخلوة في قصر عابدين إلى خلوة أخرى غير شرعية في قبرص.. حيث اصطحبها فاروق.. أو اصطحبته هي في الواقع قائلة إنها تريد أن تزور منزلاً تمتلكه عائلتها هناك.. لكنه لم يكن أكثر من (كوخ).. نسيت (كاميليا) أمره تماماً ولم تفكر ولو في المرور به.. غارقة لأيام معدودات في (الجناح الملكي) الذي نزلت فيه مع (فاروق).. قبل أن يتهمها الملك بأنها سرقت خبر خلوتهما الذي نشرته صحيفة قاهرية.. ويترك لها رسالة تقول (اضطرت للرحيل) مع خمسين جنيتها لا غير تركها لتدبر أمرها بها.

وعندما هرعت "كاميليا" إلى الميناء الذي سبق أن رست عليه بأحلامها وحقاتبها.. اكتشفت أن فاروق رحل قبل ساعات على اليخت الملكي نفسه الذي وصلا به إلى قبرص.. اليخت (فخر البحار).

(١) كاميليا ممثلة مصرية راحلة.. اشتهرت في أواسط الأربعينيات لتصبح أكثر نجومات السينما المصرية تألقاً وأعلاماً أجراً.. اسمها الحقيقي (ليليان فيكتور كوهين) وقد ولدت في ١٣ ديسمبر ١٩٢٩ في الإسكندرية لوالدين مسيحيين.. لكن تبناها زوج أمها اليهودي الديانة حيث حملت اسمه.. كانت تتردد على حفلات الصفاة الإسكندرانية.. وكانت تحوم حولها الكثير من الشائعات والشكوك.. توفيت الفنانة كاميليا في حادث طائرة كانت تستقلها متجهة إلى فرنسا.. حيث سقطت الطائرة في الحقول بالبحيرة شمال غرب القاهرة في ٢١ أغسطس ١٩٥٠.

أيام محمد علي

علاقتها بالملك.. وتنتشر الفضيحة.. فيهجرها فاروق.. ثم يستدعيها ليسألها عن علاقتها بمصور خطبت له.. ويتهما بالحماسة لأنها تفضل الزواج من رجل تافه على أن تكون خليعة للملك.. وعادت "المياه إلي مجاريها" بينما كانت حرب فلسطين بين العرب وقائدهم الملك فاروق ملك مصر والسودان واليهود.. الذين شاع أن "كاميليا" جاسوسة لهم.. وقيل إنها "إستر" الجديدة.. تقدم نفسها كنظيرتها البعيدة للملك حتي يرضي عن قومها..

وحين وصل الأمر إلى اتهام صريح ومساع من السلطات المصرية للقبض علي كاميليا.. قام فاروق بطرد أحد وزرائه من شاليه مملوك له للوزير في الإسكندرية لتختبئ فيه خليلته اليهودية المتهمه بالجاسوسية لصالح الصهاينة.. فيما كان الجيش المصري يخوض الحرب ضد الصهاينة ويلقي الهزيمة علي أرض فلسطين عام ١٩٤٨!

ولم يجد رئيس الوزراء (النقراشي)^(١) بداً من مواجهة الملك بحقيقة ما تهتف به الجماهير ضده في كل مكان.. بل بحقيقة ما سمعه الملك بأذنه من شعبه الغاضب وهو يغادر سينما (مترو) فقال النقراشي للملك:

(لقد نما إلي علمي أن عدداً من النساء اللاتي تلتقي بهن جاسوسات.. وأن اليهود يحصلون على معلومات منهن.. كما علمت أن هناك علاقة حب بينك وبين فتاة يهودية)..

(١) محمود فهمي النقراشي باشا هو رئيس وزراء مصري راحل.. ترأس الوزارة مرتين.. اغتيل في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ في القاهرة.. وقيل أن القاتل ينتمي إلي النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين التي كان رئيس الوزراء قد أصدر قراراً بحلها في نوفمبر ١٩٤٨ وكان القاتل وهو "عبد المجيد احمد حسن" متخفياً في زي أحد ضباط الشرطة وقام بتحية النقراشي حينما هم بركوب المصعد ثم أفرغ فيه ثلاث رصاصات في ظهره.. قيل أن وراء الجريمة النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين حيث اعتقل القاتل الرئيسي والذي اعترف بقتله النقراشي لإصداره قرار حل جماعة الإخوان المسلمين.. كما تبين من التحقيقات وجود شركاء له في الجريمة.. وأصدر حسن البنا عقب هذا الحدث بياناً استنكر فيها الحادث و(تبرأ) من فاعليه تحت عنوان (ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين).

أيام محمد علي

وأنكر الملك.. ادعى أن علاقته بالفتاة اليهودية" انتهت.. وقال إنه يلعب القمار مع اليهود ليأخذ أموالهم.. كان كلاماً فارغاً.. لم يؤد إلى نتيجة.

ويعد الانسحاب المهين للقوات المصرية من فلسطين طبقاً لهدنة (رودس) ٢٤ من فبراير ١٩٤٩.. وطلاق فاروق للملكة المحبوبة من الشعب "فريدة" بناء على طلبها.. وزواج الأميرة (فاطمة طوسون)^(١) التي كان "فاروق" يضعها على لائحته ويخطط للزواج منها من الأمير البرازيلي "دوم جوان" وصل فاروق إلى حافة الانهيار..

لكن لاحظ أولاً أن الأميرة فاطمة سليلة أسرة "محمد علي" تزوجت رجلاً مسيحياً.. ورتبت للأمر بالسفر إلى أوروبا.. وحين علم "فاروق" بالأمر اتصل بها وقد جن جنونه ليغريها بأنها ستكون "ملكة مصر" ويهددها بأنه سيجردها من لقبها وأملاكها.. لم تبال بوعدده ولا بوعيده.. كانت صماء تماماً.. ومصممة على إتمام زيجتها.. وقد كان!

وفي نهاية صيف ١٩٥٠ قرر فاروق أن يسافر إلى ديوفيل بفرنسا ليلتقي سرا بجاسوسته الحسناء "كاميليا".. ومن الإسكندرية سافر فاروق إلى "مارسيليا" التي لم تكن قد تعافت بعد من آثار الحرب العالمية الثانية.. فكان طبيعياً أن تتصدر أخبار إسرافه المستفزة الصفحات الأولى.. وفي ديوفيل خسر في انتظار كاميليا ٥٥ ألف جنيه مصري^(٢) على مائدة القمار في ليلة واحدة.. وحسب الترتيب المتفق عليه كان على "كاميليا" أن تسافر إلى سويسرا بالطائرة..

(١) كانت النبيلة فاطمة طوسون بأرعة الجمال وهي ابنة النبيل عمر طوسون وتحدت من فرع طوسون من العائلة العلوية وقد كثرت حولها الأقاويل والشائعات من بينها أنها عشيقة الملك فاروق خلال زواجها هي وزواجه هو من الملكة فريدة.. بل وتمادت الشائعات لتؤكد أنها أنجبت من فاروق ابنة سرية وأنه ذهب لزيارتها في وجود زوجها بعض أن وضعت ابنته السرية وأن فاروق رفض الاعتراف بها.. وهذا كله كان محض افتراء فقد تعرف الملك فاروق عليها في إحدى حفلات الأميرة شويكار ولكن كان فاروق وقتها في بداية زواجه من الملكة فريدة ولم تكن علاقته بها سيئة بل كان يُكن لها حباً عظيماً.. فقط أبدى فاروق في الحفل إعجاببه الشديد بجمالها.. واختصها بالرقص معها.

(٢) ما يعادل الملايين بحسابات اليوم.

أيام محمد علي

وتستقل سيارة فاروق الخاصة التي أرسلها بسائقها من "جنيف" إلى "ديوفيل" .. وفي اليوم المحدد للوصول اتصل سكرتير "مولانا الملك فاروق المعظم ملك مصر والسودان" بمليكه ليخبره أن الطائرة التي أقلعت بكاميليا لم تغادر مصر.. فقد سقطت وتحطمت بالقرب من القاهرة^(١) .. ومعها احترقت "كاميليا" .. ومات كل ركابها.. وكانوا ٥٥ راكباً.

وهكذا انتهت مغامرة اليهودية الطموح.. الجاسوسة الحسناء.. نجمة الإغراء.. ليليان كوهين.. خلية الملك المعروفة باسم الممثلة "كاميليا" ..

انتهت المغامرة وأصبحت صاحبها ربما ذكرى غير طيبة.. ربما تنهد الكثيرون ارتياحاً.. وربما كانت (دومينيك فرانس بيكار) قد حاولت أن تنجح فيما لم تنجح فيه خلية والد زوجها.. وحين اكتشفت أن الأمير السابق.. والملك تحت الوصاية السابق أيضاً الذي تزوجته لن يصبح ملكاً أبداً.. وأن "السادات" رحل في حادث المنصة الشهير من دون أن يكرر مشروع "فرانكو" .. وبالتالي فإن "أحمد فؤاد" لن يصبح "خوان كارلوس" الجديد فضلت الانسحاب متخفية عن بيتها.. وزوجها.. وأبنائها الثلاثة.. قبل أن يقع بينهما الطلاق بعد ذلك في ولاية الرئيس "مبارك" وتعود إلي ديانتها الأولى كما تردد.

هذا من جانبها.. أما جانب أحمد فؤاد فيبقى ملفوفاً بالغموض الخالص.. وليس هناك ما يفسر اختياره لـ "دومينيك" لتصبح "فضيلة" من بين كل نساء أوروبا العرب والعجم.

ومازال السؤال حول علاقة أسرة "محمد علي" بالمسيحية.. بلا إجابة.



(١) تحديداً فوق سماء الدلتجات بمحافظة البحيرة.

گاتمة



هل نستطيع تكرار التجربة؟

أيام محمد علي

والخديوي إسماعيل هو بن «إبراهيم باشا» بن محمد علي باشا.. وُلِدَ في «٢١ ديسمبر ١٨٣٠».. وتوفي في «٢ مارس ١٨٩٥».. وهو خامس حكام مصر من الأسرة العلوية.. ولكن كان من أكثرهم تميزاً.. حكم مصر خلال الفترة من ١٨ يناير ١٨٦٣ إلى أن خلعتة إنجلترا عن العرش في ٢٦ يونيو ١٨٧٩ وخلال فترة حكمه أعطى مصر دفعة قوية للحاق بركب الحضارة خاصة في جانبها الأوروبي المعاصر آنذاك.

وكان إسماعيل هو الابن الأوسط بين ثلاثة أبناء لـ«إبراهيم باشا».. وبعد تعلمه في باريس عاد إلى مصر وأصبح وريثاً شرعياً للعرش بعد وفاة أخيه الأكبر محمد سعيد باشا في ١٨ يناير ١٨٦٣ الذي كان يتعمد دائماً إبعاد أخيه عن مصر ضماناً لسلامته الشخصية وذلك بإيفاده في مهمات عديدة أبرزها إلى البابا وإلى الإمبراطور نابليون الثالث وسلطان تركيا.

ثم أرسله في جيش تعداده ١٤ ألف مقاتل إلى السودان وعاد بعد أن نجح في تهدئة الأوضاع هناك.

وفي ١٨٦٦ حصل إسماعيل باشا علي لقب خديوي من السلطان العثماني بموجب فرمان خاص مقابل زيادة في الجزية المفروضة على مصر.. وتم بموجب هذا فرمان أيضاً تعديل طريقة نقل الحكم لتصبح بالوراثة لأكبر أبناء الخديوي سناً.

كما حصل عام ١٨٧٣ على فرمان آخر يتيح له استقلالاً أكبر عن الدولة العثمانية وعُرفَ بالفرمان الشامل.. وكان يمنحه حق التصرف بحرية تامة في شئون الدولة ما عدا عقد المعاهدات السياسية وعدم حق التمثيل الدبلوماسي وعدم صناعة المدرعات الحربية مع الالتزام بدفع الجزية السنوية.

امتد نفوذ الإدارة المصرية في عهده على طول ساحل البحر الأحمر الغربي وبعض أجزاء من بلاد الصومال.

أيام محمد علي

- بنى ١٥ منارة في البحرين الأحمر والمتوسط لإنعاش التجارة..
- قام بإنشاء أول مدرسة لتعليم الفتيات في مصر.. وهي مدرسة السنية..
- أنشأ دار العلوم لتخريج المعلمين..
- أنشأ دار الكتب..
- أنشأ الجمعية الجغرافية ودار الآثار..
- ولأول مرة تعرف مصر ظهور الصحف الأهلية مثل الأهرام والوطن ومجلة روضة..

اهتم إسماعيل بإعادة تنظيم الجيش وإنهاض البحرية وإقامة العمران في مختلف المجالات.. وبعث النهضة العلمية والفكرية بإنشاء المدارس والمعاهد وتأسيس الجمعيات العلمية وتشجيع التأليف والصحافة ورعاية العلوم والآداب والفنون.

وواصل إسماعيل إرسال البعثات إلى البلدان الغربية المتقدمة من جديد.. وبدأ يوفد الطلبة منذ عام ١٨٦٢ الذين بلغ عددهم ١٧٢ طالباً.. واستمر جني ثمار البعثات العلمية على هيئة مزيد من تطوير التعليم ومزيد من العمران.

تولى إسماعيل الحكم ومعظم المدارس التي أنشأها «محمد علي» مغلقة.. لم يكن قد تبقى منها سوى مدرسة الطب والصيدلة ومدرسة الولادة ومدرسة حربية وأخرى ثانوية ومدرسة ابتدائية ومدرسة البحرية في الإسكندرية.. وبدأت نهضة جديدة في عصره في مجالات التعليم.. فبالإضافة إلى تأسيس مدارس حربية أسس عدة مدارس عليا منها مدرسة الري والعمارة «المهندسخانة» في العباسية عام ١٨٦٦.. مدرسة الحقوق عام ١٨٦٨ مدرسة دار العلوم ١٨٧٢ لتخريج أساتذة لغة عربية للمدارس الابتدائية والثانوية تم اختيار طلابها من المتفوقين من تلاميذ الأزهر.

وارتقت مدرسة الطب في عصر إسماعيل.. الذي شهد أيضاً إنشاء مدارس للبنات وعدد من المدارس الصناعية والمدارس الخاصة والمدارس الأوروبية.. وكان قائد النهضة التعليمية في عصر إسماعيل هو «علي باشا مبارك» الذي أسس دار العلوم عام ١٨٧٢ ودار الكتب عام ١٨٧٠ ومعملاً للكيمياء والطبيعة في درب الجماميز لتوسيع مدارك التلاميذ في العلوم الطبيعية واطلاعهم على تجاربها والمران على استعمال الآلات الرياضية والطبيعية.

وأعاد إسماعيل عهد البعثات العلمية إلى مدارس أوروبا ابتداء من عام ١٨٦٣ وأنشأ مدرسة لأعضاء البعثة في باريس بدل المدرسة التي أنشأها «محمد علي» لهذا الغرض وأغلقت في أواخر عهده.. لكن المدرسة التي أنشأها إسماعيل أغلقت بعد نشوب الحرب السبعينية^(١).

كان لأفراد البعثات التي أرسلها إسماعيل إلى أوروبا أثرهم على المجتمع المصري بعد عودتهم.. فقد تأثروا بالبيئة الأوروبية أكثر من المبعوثين الذين أرسلهم «محمد علي».. لأنهم كانوا شباباً في نحو العشرين من العمر.. بينما كانت بعثات «محمد علي» أكبر سناً بكثير.. وكانت أهم الدول التي استقبلت بعثات إسماعيل فرنسا وإنجلترا وإيطاليا.. وازداد عدد أفراد البعثات ازدياداً مطرداً في السنوات الأولى من حكم إسماعيل.. ثم أخذ العدد في النقصان بعد الارتباك المالي الذي حدث في السنوات الأخيرة من حكمه.

وكان ضمن ثمار البعثات العلمية والتحديث في عصر إسماعيل إنشاء عدد من الجمعيات العلمية مثل الجمعية الجغرافية الخديوية عام ١٨٧٥ الذي كان أول رئيس لها العالم الألماني «جورج شونفرت».. وجمعية «المعارف المصرية» لتشجيع البحث العلمي.. وتم أيضاً إنشاء المتحف المصري.. وظهرت الصحف العلمية والأدبية والحربية مثل مجلة «اليعسوب» الطبية عام ١٨٦٥ ومجلة «روضة المدارس»

(١) نسبة إلى عام قيامها في سنة ١٨٧٠ ونشبت بين فرنسا وألمانيا.. ومن آثارها اضطراب الأسواق في أوروبا.

أيام محمد علي

عام ١٨٧٠ لإحياء الآداب العربية ونشر المعارف الحديثة وترأسها رفاة رافع الطهطاوي إمام البعثة الأولى في عصر «محمد علي».

وتقدمت الطباعة في عصر إسماعيل حيث أصبحت مطبعة بولاق من أكبر المطابع.

واتسم عصر إسماعيل بالنهضة العلمية والأدبية بسبب انتشار التعليم في المدارس والمعاهد وظهور طائفة من العلماء والأدباء ممن تخرجوا في المدارس والبعثات.. ونشاط حركة التأليف والترجمة والنشر.. وظهرت طائفة من العلماء المؤلفين والمربين فأنتجوا كتباً في الطب والرياضيات والتاريخ والفقه والتشريع.. وتولى أرقى المناصب الحكومية خريجون من المدارس والمعاهد والبعثات.. فكان من ثمار النهضة الارتقاء في عدد من المجالات مثل التعليم والري والهندسة والإدارة والقضاء والصحة والجيش والأسطول.

وكان إسماعيل مهتماً بتمية ثروته الخاصة.. فقد كان يملك وحده مصنعين للنسيج بالقرب من القاهرة و٢٢ مصنعاً للسكر تبلغ طاقتها الإنتاجية ١٥٠ ألف طن سكر سنوياً.. و٤ مصانع للأسلحة ودارين لصناعة بناء السفن.

بتر التجربة وعزل إسماعيل

لكن أنى للقوى الاستعمارية أن تتركه ليستكمل مشواره للنهوض ببلده.. مكملاً تجربة جده.. فحاربه بريطانيا سياسياً.. وتمكنت من عزله عن الحكم.. فسافر إلى نابولي بإيطاليا.. ثم انتقل بعدها للإقامة في الآستانة.. وتوفي بها في ٢ مارس ١٨٩٥ في قصر إمبرجان في إسطنبول الذي كان منفاه أو محبسه بعد إقالته.

إذن نحن أمام تجربتين.. أو تجربة واحدة على مرحلتين عاشتهما مصر في عهد «محمد علي» الجد.. والخديوي «إسماعيل» الحفيد.. ويجب أن نتخذ منهما نموذجاً إرشادياً للإجابة عن السؤال..

أيام محمد علي

وعن قناعة تاريخية نقول: نعم.. نستطيع تكرار التجربة..
فكل معطياتها مازالت قابلة للتطبيق حتى في ظل الواقع المصري.. والعربي
الراهن.. فقد كان التحديث في نهاية القرن التاسع عشر في مصر انتقالاً من
الوضع الحريفي الفلاحي وتطويره بجلب العلوم والتقنيات الأوروبية الجديدة ونظم
الحكم في المدن وبناء جيش قوي لحماية الاستقلال..
والوضع الراهن يشهد انتقال العلم والتقنية الصناعية التقليدية إلى تسارع غير
معهود في مجالات حديثة تماماً مثل الاتصالات وعلوم التكنولوجيا.. وغيرها.
لكن ما ينقصنا بالفعل هو وجود سلطة لديها الرغبة على فعل ذلك.. وتطوير
مجمل الأوضاع الاقتصادية والثقافية.

المارد يخرج من قمقمه

ومع تنامي ظاهرة الثورات الشعبية في مصر وكافة الدول العربية.. نستطيع
القول أن المارد خرج من قمقمه.. والشعب صاحب المصلحة المباشرة في التحديث
أصبح هو فرس الرهان.. لكن فرس يعلوه ويقوده «فارس الثورة» ولجامه هو
«إرادة التغيير» والبداية لوضع الفرس والفارس على الطريق الصحيح.. وطريق
التحديث.. لا بد أن يكون دعم التعليم والبحث العلمي.. وهو ما نتمنى أن نراه في
المستقبل البعيد..

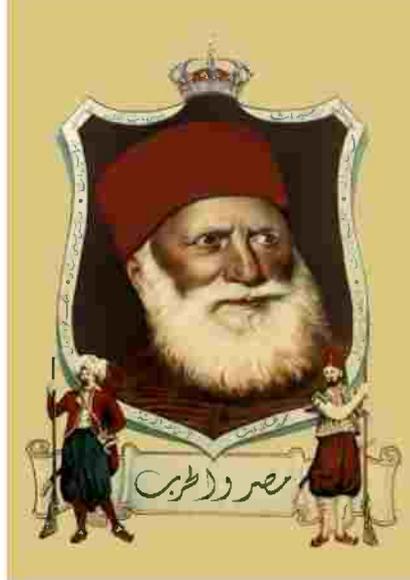


أيام محمد علي

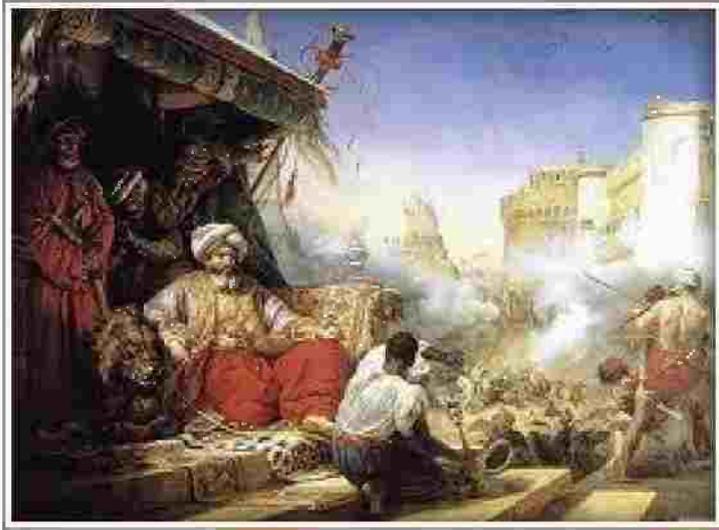
ملحق المور



صورة لمحمد علي باشا أخذت سنة ١٨٤٠



٥ < > ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ ٣٠ ٣٥ ٤٠ ٤٥ ٥٠ ٥٥ ٦٠ ٦٥ ٧٠ ٧٥ ٨٠ ٨٥ ٩٠ ٩٥ ١٠٠



Le Massacre des Mamelouks dans La Citadelle du Caire
by Horace Vernet, 1849



۰ < > ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۱۰ ۱۱ ۱۲ ۱۳ ۱۴ ۱۵ ۱۶ ۱۷ ۱۸ ۱۹ ۲۰ ۲۱ ۲۲ ۲۳ ۲۴ ۲۵ ۲۶ ۲۷ ۲۸ ۲۹ ۳۰ ۳۱ ۳۲ ۳۳ ۳۴ ۳۵ ۳۶ ۳۷ ۳۸ ۳۹ ۴۰ ۴۱ ۴۲ ۴۳ ۴۴ ۴۵ ۴۶ ۴۷ ۴۸ ۴۹ ۵۰ ۵۱ ۵۲ ۵۳ ۵۴ ۵۵ ۵۶ ۵۷ ۵۸ ۵۹ ۶۰ ۶۱ ۶۲ ۶۳ ۶۴ ۶۵ ۶۶ ۶۷ ۶۸ ۶۹ ۷۰ ۷۱ ۷۲ ۷۳ ۷۴ ۷۵ ۷۶ ۷۷ ۷۸ ۷۹ ۸۰ ۸۱ ۸۲ ۸۳ ۸۴ ۸۵ ۸۶ ۸۷ ۸۸ ۸۹ ۹۰ ۹۱ ۹۲ ۹۳ ۹۴ ۹۵ ۹۶ ۹۷ ۹۸ ۹۹ ۱۰۰



— ۲ —

ایام محمد علی



سواء الحظ الامير محمد علي توفيق ۱۹۰۵

۰ < > ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۱۰ ۱۱ ۱۲ ۱۳ ۱۴ ۱۵ ۱۶ ۱۷ ۱۸ ۱۹ ۲۰ ۲۱ ۲۲ ۲۳ ۲۴ ۲۵ ۲۶ ۲۷ ۲۸ ۲۹ ۳۰ ۳۱ ۳۲ ۳۳ ۳۴ ۳۵ ۳۶ ۳۷ ۳۸ ۳۹ ۴۰ ۴۱ ۴۲ ۴۳ ۴۴ ۴۵ ۴۶ ۴۷ ۴۸ ۴۹ ۵۰



صاحب المقام العالي خديو مصر محمد توفيق وزجته سمو الأميرة أمينة
هانم الهامي كريمة ابراهيم الهامي باشا ابن عباس الأول.

أيام محمد علي

مدرسة السواري بالجيزة - مدرسة الطب والمستشفى العسكري - مدرسة الخانقاه - مدرسة الطب البيطري - مدرسة الهندسة العسكرية - مدرسة الموسيقى العسكرية - مدارس الوحدات ومحو الأمية - البعثات العسكرية - تمصير التعليم في الجيش المصري - الصحافة العسكرية - جريدة الوقائع المصرية - مطابع أخرى - صناعة الورق «الكاغدخانة» - كيف كان يتم التجنيد؟ - الصناعات الحربية - ترسانة القلعة - مصنع الأسلحة بالحوض المرصود - ترسانة السفن الحربية بالإسكندرية - معمل البارود - الكهرجالات - صناعات مساعدة أخرى للجيش

4 «محمد علي».. والصناعة !! ٥٩

صناعات كبرى - فابريقة الغزل والنسيج - فابريقة «مالطة» - بداية التصدير - نهضة الصناعات البحرية - بين الحاج عمر وسيدي - السياسة الداخلية - «محمد علي» يهادي بأراضي مصر - مأساة الاحتكار - خسائر كبيرة - معاهدة لندن - تفاصيل ودوافع تلك المعاهدة - كامب ديفيد الأولى

5 «محمد علي».. وسياسته التعليمية !! ٧١

المدارس الطبية - مدارس أخرى - إنشاء ديوان المدارس - المدارس العليا - البعثات العلمية - اهتمام «محمد علي» بالمبعوثين - الهدف الأول - البعثة الأولى - البعثة الثانية - البعثة الثالثة - البعثة الرابعة - البعثة الخامسة «بعثة الأنجال» - بعثات أخرى - جنى ثمار البعثات العلمية - إتباع المنهج العلمي - ومن إنجازات «محمد علي» الأخرى - إنشاء الدفترخانة - قصر «محمد علي» - القصر من الداخل - القصر بعد ثورة يوليو - وقصره بأثينا

6 توسعات «محمد علي» العسكرية ٨٥

«محمد علي» والقضاء على الحركة الوهابية - معارك الجيش المصري في اليونان - معركة استمباليا

٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

أيام محمد علي

8 ماذا تبقى من أسرة محمد علي؟ ١٥٣

ماذا تبقى من الأسرة العلوية بعد «محمد علي»؟ - حريم مولانا - أمينة هانم - ماه دوران هانم - أما جواريه فهن - «إبراهيم باشا» - عباس حلمي الأول - توليه الحكم - بين العهدين - علاقته بالوهابيين - محمد سعيد باشا - أهم سمات عهده - وخاضت مصر في عهده حربين - قناة السويس أبرز مشروعاته وأهم إنجازات أسرة محمد علي - اسماعيل باشا - الخديوي محمد توفيق - شهد عهده الأحداث التالية - وفاته - عباس حلمي الثاني - من أهم أعماله - فتح السودان - الحرب بين إنجلترا والعثمانيين في مصر - حادثة دنشواي - رحيل كرومر - أيامه في فرنسا ومحاولة اغتياله - خلعه من الحكم - عباس جاي - زوجاته وأبنائه - السلطان حسين كامل - فؤاد الأول - محاولة قتله - فاروق الأول - أحمد فؤاد الثاني - ملك على الورق - فروع أسرة «محمد علي» .. وماذا تبقى منها - فرع «طوسون» - فرع داود - فرع حليم

9 (الدين) سر الأسرار في أسرة محمد علي؟ ١٨٧

بين الإعلان.. والكتمان - مشاكل نازلي - نازلي تفسد نباتها - سر الزواج الغامض - فاروق وكاميليا اليهودية - الأميرة فاطمة طوسون

خاتمة .. هل نستطيع تكرار التجربة؟ ١٩٩

«الخديوي اسماعيل» - بتر التجربة وعزل اسماعيل - المارد يخرج من قمقمه

ملحق الصور ٢٠٩

الفهرس ٢٢٧

٥٠٠
٤٨٠
٤٦٠
٤٤٠
٤٢٠
٤٠٠
٣٨٠
٣٦٠
٣٤٠
٣٢٠
٣٠٠
٢٨٠
٢٦٠
٢٤٠
٢٢٠
٢٠٠
١٨٠
١٦٠
١٤٠
١٢٠
١٠٠
٨٠
٦٠
٤٠
٢٠
٠